

الغدير

[382] أبو عبد الله البريدي بواسط على بعض أمور النظر، وقال الثعالبي: كان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائرا ومادحا فأكرم مثنواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته، وكان المهلبى الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جدا، ويتعصبون له ويعدون ريحانة الندماء، وتاريخ الطرفاء، ويعاشرون منه من تطيب عشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره. حديث حفظه وذكائه كان المترجم آية في الحفظ والذكاء، قال ولده القاضي أبو علي المحسن في (نشوار المحاضرة) ص 176: حدثني أبي قال: سمعت أبي ينشد يوما وسني إذ ذاك خمس عشرة سنة بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم ويرد على الكميت مناقبه بنزار أولها: أفيقي من ملامك يا طعينا * كفاني اللوم مر الأربعينا وهي نحو ستمائة بيت فاشتبهت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن وأهلي فقلت: يا سيدي تخرجها إلي حتى أحفظها، فدافعني فألحت عليه فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتا أو مائة بيت ثم ترمي بالكتاب وتخلقه علي. فقلت: ادفعها إلي. فأخرجها وسلمها إلي وقد كان كلامه أثر في فدخلت حجرة كانت برسمي من داره فخلوت فيها ولم أتشغل يومي وليلتي بشئ غير حفظها فلما كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها فخرجت إليه غدوة على رسمي فجلست بين يديه فقال: هي، كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب وقد رأيته قد كذبه وقال لي: هاتها، فأخرجت الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت فصيح منها عدة أوراق وقال: أنشد من ههنا. فأنشدت مقدار مائة بيت إلى آخرها، فهاله ما رآه من حسن حفظي فضمني إليه وقبل رأسي وعيني وقال: يا بني لا تخبر بها أحدا فإنني أخاف عليك من العين. وذكر ابن كثير هذه القصة ملخصا في تاريخه 11 ص 227.